ذكرياتي مع صديقي الفنان

حوار أجراه الشيخ سلطان سعود القاسمي مع الفنان سامي محمد

أُجريت هذا المقابلة مع الفنان والنحات الكويتي سامي محمد[1] للتعرف عن قرب على الساحة الفنية الكويتية والخليجية في ستينيات القرن الماضي والمشهد الثقافي الذي كان سائداً عند انطلاقة المسيرة الفنية للفنان عبد القادر الريس.

س: هلّا حدثتنا عن الساحة الفنية في الكويت في ستينيات القرن الماضي.

ج: لا يخفى على أحد أن الحركة التشكيلية في الكويت نشأت في خمسينيات القرن الماضي، وقد بدأها المرحوم معجب الدوسري، وهو أول شخص درس فنوناً جميلة في إنجلترا، ثم جاء بعده كل من الأستاذ أيوب حسين وخليفة القطان. لم يكن الفن مرحباً به آنذاك، ولكن من عنده هواية كان يمارسها. وأعتقد أن أيوب حسين كان أحد الناس الذين سجّلوا تاريخ الكويت، وهو الذي رصد البيئة والعادات والتقاليد بريشته في كثير من اللوحات. وكان خليفة القطان في إنجلترا في الخمسينيات، ثم جاء إلى الكويت في الستينيات. كنت أشكّل مع كل من سامي محمد وخزعل عوض القفاص وعيسى صقر وعبد الله القصار وبدر القطامي ومساعد فهد وعبد الله سالم وجاسم بو حمد مجموعة، حيث بدأنا تقريباً في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات.

كان المرسم الحر عند بدايتي هو النواة الحقيقية للحركة التشكيلية في الكويت، وقد بدأ المرسم نشاطه منذ 1958، وكانت الفكرة هي محاولة إنشاء كلية فنون، لكنها لم تأخذ أبعادها مباشرةً. فالمسؤولون، أمثال: عبد العزيز حسين، مؤسس هذا المرسم، وأبو الثقافة الكويتية، والشيخ عبد الله السالم، هم الدافع الحقيقي للحركة الثقافية في الكويت. وقد تبنّاها عبد العزيز حسين بإيعاز من الشيخ عبد الله السالم. عموماً، هذه بداياتنا في الستينيات وأواخر الخمسينيات. وبالطبع، أولت وزارة التربية المرسمَ اهتماماً بالغاً بعد افتتاحه، ووفّرت له خامات وأساتذة لكي يدرّسوا الطلبة الهواة الذين يفدون إلى المرسم. حضرت في البدايات، حيث كان هناك عدد قليل من الناس. لم يكن الحضور مقصوراً على الكويتيين فقط، بل حضر الفلسطيني والمصري والسوري وجنسيات أخرى. كان المرسم مزدحماً كثيراً في بداية افتتاحه، وكان هناك معرض باسم معرض الربيع، حيث كنا نشارك فيه، وكان كل المتواجدين على الساحة يشاركون، سواء أكانوا من الهواة أو الخطاطين أو الفنانين أو المدرسين أو الأساتذة. كنا نشارك في المعرض الذي يقام سنوياً في مدرسة المباركية، والذي استمر لتسعة سنوات تقريباً. ثم انبثقت الحركة التشكيلية في إطار جميل من المسؤولين والفنانين إلى أن تبلورت الفكرة في المرسم الحر، حيث أصبح الفنانون متفرغين للفن في هذا المرسم، وأنا أحدهم، بالإضافة إلى عيسى صقر وخزعل القفاص وخليفة القطان وبدر القطامي، أي المجموعة كلها التي تتكون من 12 إلى 13 شخصاً. واقتصر الحضور على الكويتيين فقط بدل أن يكون مفتوحاً للجميع.

س: متى كان أول لقاء لك مع عبد القادر الريس؟ وما علاقته بالمرسم الحر؟

ج: خُلق عبد القادر ليكون فناناً. كان هناك مدرّس تربية فنية اسمه نصر الدين محمد طاهر (1935 – 2007) من مصر، وهو فنان كذلك، وكان يتكلم عن عبد القادر، وهو الذي احتضنه وشجّعه ودرّسه، وكلما حضر الأستاذ نصر الدين إلى المرسم، تحدّث عن عبد القادر الفنان. كان عبد القادر يشارك معنا في لوحاته في معرض الربيع من خلال المدارس والمدرسين. وأعتقد أن أول لقاء لي معه كان في الستينيات عام 62 أو 63. وقد أحببته لأنه فنان يعشق الفن مثلي. كان عندما يأتي إلى المرسم يطّلع على الكتب الفنية غير المتوفرة في المدرسة، حيث كنا نملك مكتبة غنية جداً من الكتب الفنية الأجنبية، منها الإيطالية والفرنسية والهولندية، وكذلك مدارس الأكاديمية، وكلها موجودة للفنانين أمثال: دافنشي ومايكل أنجلو.

كان عبد القادر يزور المرسم بشكل مستمر، وأعتقد أنه تقمّص شخصيات فنية عديدة. دعاني في إحدى المرات إلى مرسمه في البيت في منطقة القادسية، فحضرت، حيث كان المرسم صغيراً جداً، لكن إنتاج الريس كان رائعاً ومبدعاً في اللوحات التي تعتبر أكاديمية. كان دائماً يرسم طبيعة صامتة، وينقلها، وينقل بورتريهات. كان رسام أشكال بشرية بشكل ممتاز جداً، لكنه ترك كل هذا في الآونة الأخيرة. ولسبب ما في نفسه تحاشى رسم الشكل البشري، وركز على أشياء يرغب بها، ويحبها.

س: في أي عام زرت مرسم عبد القادر؟

ج: زرت مرسم عبد القادر الريس عام 1963 أو 1964 على ما أعتقد. كنت حينها في العشرينيات، بينما هو لا يتجاوز 18 عاماً. لكنه كان فناناً، وتلمس الحس الفني من نشأته. لم يكن عضواً بالمرسم، بل كان طالباً، وقد خُصص هذا المكان للكويتيين أصلاً كوظيفة.

س: كيف أثّر المدرس نصر الدين على عبد القادر الريس؟

ج: أعتقد أنه أثّر عليه من ناحية فنية فعلاً. أي أن عبد القادر تفوّق على أستاذه لأن نصر الدين كان ممتازاً وفناناً رائعاً، وكان أيامها مشغولاً، حيث كان يرسم للمجلات والصحف والكتب والأغلفة، فرسمَ في مجلة العربي ومجلة الكويت ومجلة عسكرية وهو مدرس مخلص، لكنه لم يجد أي طالب يقف معه ويدعمه كما فعل مع عبد القادر الريس. وربما يعود سبب تأثُّر عبد القادر الريس بهذا المدرس إلى كون الأستاذ نصر الدين يجيد رسم الشكل البشري بشكل جميل ومتقن.

س: ما رأي الفنانين الآخرين بأعمال عبد القادر الريس؟

ج: كان هناك الكثير من المعجبين بأعمال الفنان عبد القادر الريس، أذكر منهم جواد بو شهري صاحب جاليري بو شهري، وكان فناناً رائعاً ونحاتاً ورساماً حاول قدر المستطاع الوقوف مع عبد القادر، وأعتقد أنه اقتنى منه، لكنني لست متأكداً من ذلك. وبالطبع، هناك أشخاص كثر يحترمون الفنان عبد القادر الريس، ويقدّرون أعماله الرائعة جداً، سواء أكانوا فنانين أو مدرسين في ذلك الوقت عندما كان عمره لا يتجاوز 19 عاماً.

س: ما هي التطورات التي حدثت في تلك المرحلة والتي أثّرت على أعمال الفنانين في الكويت؟ على سبيل المثال، التطورات السياسية أو الاستقلال. وهل كانت هناك حركات سياسية أو اجتماعية أثّرت على أعمال الفنانين وأعمال الفنان عبد القادر الريس؟

ج: كان الاستقرار السياسي الذي يولّد الحركات الثقافية جيداً، حيث تأثّر أغلب الفنانين الكويتيين بالبيئة، وحتى عبد القادر تأثّر بها؛ فرسم مراكب عديدة وبِركاً وبحراً مثل أغلب الفنانين في الفترة من الستينيات ولغاية السبعينيات. رسم الكثيرون منا في هذا المجال، لكنني عملت وكذلك عيسى وخزعل في النحت أيضاً إلى جانب الرسم. كان عبد القادر يرسم البيئة، ويبيع لوحات أيضاً لأن الناس والوزارات التي تتهافت لاقتناء هذه الأعمال يشجعون على رسمها.

في سبعينيات القرن الماضي، اختلف الوضع تماماً إذ سافر أغلبنا للدراسة. أما عبد القادر، فقد اختفى بالنسبة لي خلال السبعينيات لأنه رحل إلى الإمارات. أقام في الكويت لأكثر من سنة، حيث كان يدرس في مدارس الكويت، وعندما قابلته في الإمارات قال لي أنه توقّف عن الرسم لعشر سنوات، ثم اتجه بعدها إلى رسم المناظر الطبيعية، وعمل بجودة عالية بعدما عاد إلى الرسم. وأعتقد أنه لو استمر في رسم الشكل البشري، لأبدع كثيراً في هذا المجال نظراً لتميزه وإتقانه لهذا النوع من الفن. ثم شرع بالأشياء التي يراها مناسبة لوقته وعصره وبلده، وبدا رائعاً جداً. إن شهادتي في الريس مجروحة صراحةً لأني أحبه وأحب عمله، وهو شخص عزيز جداً عليّ.

س: هل كان هناك أي نوع من الرقابة على الفن في تلك المرحلة؟

ج: لا إطلاقاً، بل كان هناك تشجيع من الوزارات كما ذكرت في البداية، على سبيل المثال، كانت وزارة الخارجية تشتري أعمال الفنانين، وتوزعها على السفارات خارج الكويت، وهذا نوع من التشجيع. يوجد اهتمام في الفن في الخليج عامة، ولا أحد ينظر إلى الفن نظرة عدائية إطلاقاً.

س: ذكرتَ المكتبة التي كان يطّلع عليها عبد القادر الريس، هل بالإمكان أن تذكر لنا أيضاً كتاباً أو كتابين من الكتب التي كان يطالعها أو كانت متداولة بين الفنانين بشكل عام في ذلك الوقت؟

ج: كانت المكتبة صغيرة، لكنها مليئة بالكتب الفنية الأجنبية، ولم تكن الكتب العربية موجودة. كلها أجنبية وأغلبها كتب المدارس التأثيرية والمدارس الكلاسيكية. كانت كتب الفن الحديث نادرة الوجود. بعد ذلك بدأ الفن الحديث يأخذ مجاله مع خروج أغلب الفنانين الى الدول الأوروبية ومن خلال اطّلاعهم وعن طريق التواصل من خلال الإنترنت. رسم عبد القادر شخصيات عديدة وأبواب كثيرة، حيث نقلها بدقة، وأضفى عليها صيغة جمالية حلوة.

س: هل اقتنى أحد من الكويت أعمال عبد القادر الريس الفنية؟ وهل تذكر أسماءهم؟

ج: أذكر جواد بو شهري لأن علاقته بالفنان عبد القادر كانت قوية ومميزة، وأعتقد أنه اقتنى بعض أعماله، لكنني غير متأكد من ذلك. وربما يعرف بو شهري أكثر عن أشخاص قد اقتنوا من الفنان عبد القادر الريس.

س: هل كان هناك نقد لأعمال الفنان عبد القادر الريس؟ وماذا قيل عنه؟

ج: لا يوجد نقد حتى الآن، إنما كانت هناك مجهودات لبعض الناس وفي الصحافة كأن تمتدحه، أو تُجري لقاءاً معه، لكنني لا أعرف عدد اللقاءات التي أجرتها الصحافة الكويتية مع عبد القادر، سواء أكانت لقاءات فردية أو من خلال تواجد الصحافة أيام المعارض. كان عبد القادر بسيطاً جداً، وأعتقد أنه لم يعرض نفسه كفنان. كان يمتلك ذائقة فنية، كما كان يحب الفن والفنانين، ويختلط بهم.

س: السؤال الأخير، سبق وأن دار حوار بينك وبين فنانين مبتعَثين في القاهرة في تلك الفترة، وكان الموقف يخص الفنان عبد القادر الريس؛ فانتقمت له بالوقوف معه والدفاع عنه. أخبرنا عن هذا الموقف.

ج: كانت هناك حوارات كثيرة بالتأكيد. وكنت أحد المدافعين عنه بقوة كونه صديقاً عزيزاً عليّ، وكنت أثني عليه باستمرار. بالطبع، غيرة الفنانين موجودة، وبعضهم لم يكن يرغب به. لكن هذه أشياء شخصية. تنبّأت بأن عبد القادر الريس سيكون من الفنانين الرّواد في الخليج، وكنت محقاً في ذلك.

[1] سامي محمد

فنان ونحات ولد في منطقة الشرق بحي الصوابر في الكويت عام 1943. ودرس النحت في كلية الفنون الجميلة عام 1970 وحصل على دبلوم تقديري من "كان سير مير" في فرنسا عام 1970. وهو عضو مؤسس للجمعية الكويتية للفنون التشكيلية 1967. أوفد في بعثة دراسية إلى الولايات المتحدة عام 1973. وحصل على العديد من الجوائز المحلية والعالمية منها جائزة الشراع الذهبي من المعرض الرابع للفنانين التشكيليين العرب أعوام 1975 – 1977، والجائزة الأولى في معرض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية أعوام 1974 - 1976 – 1977، وجائزة الشراع الذهبي من معرض الدول العربية عام 1981، والميدالية الذهبية من معرض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية الثاني عشر عام 1981، والجائزة الأولى في بينالي القاهرة الدولي الأول في 1984، والجائزة الأولى للنصب التجميلي لساحة الصفاة عام 1985، والسعفة الذهبية من بينالي مجلس التعاون الخليجي الأول في الرياض عام 1989. أطلق اسمه على تجمع لفنانين تشكيليين شباب عام 2007 "مجموعة سامي محمد للفنون التشكيلية الكويتية". وانتخب رئيساً لمجلس إدارتها ثم رئيساً فخرياً لها.